جهود أبي عبد الله الشريف التلمساني (ت : 771 هـ) في التفسير

Abi Abed Allah Sherif Telemceni's Efforts in Interpretation

الدكتور: بن زيان خالد

جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف – الجزائر

الملخص:

تناول هذا البحث فتوى للإمام أبي عبد الله الشريف التلمساني في التفسير، تدل بوضوح على جهود علماء الجزائر في هذا العلم، و تبين بعض ملامح المدرسة التفسيرية الجزائرية في القرن الثامن الهجري، و رسوخ العلامة التلمساني في التفسير و علوم القرآن، و جاء هذا البحث في مقدمة و عرض نص فتوى التلمساني في التفسير، و بعض ملامح منهجه في التفسير، و خاتمة تضمنت أهم النتائج .

الكلمات المفتاحية : التفسير، الشريف التلمساني، المنهج، الملامح.

Abstract

This research paper deals with a fatwa by Imam Abdallah Al-Sharif Tlemceni in the interpretation, clearly indicating the efforts of Algerian scholars in this science, and showing some features of the Algerian school of interpretation in the 8th century AH, and the strength of Tlemceni in the interpretation and sciences of the Qur'an. This research paper also examines Tlemceni's fatwa on interpretation and some of the features of his interpretation method, and it is concluded with most important findings.

Key words: *interpretation, sherif tlemceni, methodology, features.*

مقدمة :

إن البحث في أعلام الجزائر و التعريف بجهودهم و خاصة من اشتغل منهم بالتفسير و علوم القرآن، موضوع جدير بالبحث و له أهمية خاصة، لأنّ العناية بتفسير القرآن الكريم رواية و دراية كانت ميزة في الجزائريين بدءا من القرن الثاني هجري إلى يوم النّاس هذا .

فقد اعتنى علماء الجزائر بكتاب الله عزوجل و عملوا على حفظه و نشره و تبليغه و تفسيره لعامة النّاس من مختلف جهات البلاد و عبر مختلف العصور، و هذا يدل على أصالة علم التفسير و تجذره في هذه الأرض العزيزة .

و إنّ المتصفح لتاريخ علماء الجزائر و بالأخص المفسرون الجزائريون ينبهر لما تركوه من صفحات مشرقة في ميدان التفسير، و للأسف كثير منها بقي مطمورا و غير مشهور، لذا كان الواجب على الباحثين أن يقدموا جهود و أعمال علماء الجزائر، و يعرّفوا بها و أن يزيحوا عنها غبار الإهمال و النسيان و يسهموا في ظهورها من جديد، و من هذه الأعمال جهود أبي عبد الله الشريف التلمساني (ت : 771هـ) في التفسير .

فقد بلغ من التفنن في مختلف العلوم مبلغا مشهورا، حيث فسر القرآن الكريم في خمس و عشرين سنة، و كان يحضر مجلسه الجمع الغفير من أكابر العلماء و الملوك و الصلحاء و صدور الطلبة، و كان عالما بحروفه و نحوه و قراءته، و اختلاف رواياته، و في بيان اعجازه و أحكامه و معانيه من أمر و نهي و ناسخ و منسوخ[1].

و رغم شهرة الإمام بالتفسير إلا أنّه لم يصل إلينا من تفسيره إلّا النزر القليل من أقواله التفسيرية و هذا نظرا لأنّه لم يصنف في التّفسير، و كذلك لإشتغاله بالتّدريس و هي عادة مشهورة في المغاربة عموما، و قلّة الإهتمام بالتأليف و الإعتكاف على التدريس و التعليم .

فجاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على نموذج من أقواله التفسيرية القليلة في تفسير الآية 78 و 79 من سورة النساء .

و هذا النّص في التفسير يدور حول الجمع بين الآيتين، و فك التعارض المتّوهم بينهما و هو جواب عن سؤال وصله .

و لعل هذا المثال يوضح بعض ملامح و مميزات التّفسير عند أبي عبد الله الشريف التّلمساني و منهجه فيه.

و سئل رضي الله عنه عن وجه الجمع بين الآيتين الكريمتين – التي اعتاض على أئمة العلماء فهمها وزلّ فيها أهل العقول فلم يحيطوا بعلمها، و زاغت عن الحقّ إلى بنيّات الطّرق أو أنّه الفرق بما جهلوا من متشابه نضمها [2]– و هي قوله عزّوجل ﴿ **قل كلّ من عند الله** ﴾ و قوله تعالى : ﴿ **مّا أصابك من حسنة فمن الله و ما أصابك من سيئة فمن نّفسك و أرسلناك للنّاس رسولا و كفى بالله شهيدا** ﴾ [3]، . فجمع بينهما جمعا يرفع ذلك الإشكال ويشرح الصدر وينعم البال و يوضح بما يليق بهذا المقام من مقال وها أنا أتحفك بإفادته وأطلعك على تحقيقه فيه , وأحاديثه .

❖ **نص الفتوى :**

و نص جوابه رحمه الله : [وصل الله آمالكم وأنجح أعمالكم، سؤالكم عن وجه الجمع بين الآيتين الكريمتين وبين الخبرين النّبويّين، وينبغي أن نبتدأ الكلام في الآيتين فنقول وبالله التوفيق :

قد اختلف المفسرون في وجه الجمع بين الآيتين ولهم فيما أحسب أنّي وقفت عليه طرق ثلاثة:

الطريقة الأولى: قالت فرقة في الكلام حذف به يتم المعنى و يلتئم وتقديره فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ؛ يقولون [4]ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك فيجوز هذا التفصيل محكيا عنهم و منكرا عليهم والحق ما دل عليه قوله تعالى:﴿ **قل كل من عند الله** ﴾ ومنهم من قدر همزة الكلام الإنكار بعد قوله: " فمن الله " – وذلك من كلام الله – غير محكي عنهم و تقدير الكلام بعده أوما أصابك من سيئة فمن نفسك و بالجملة فهذان القولان يتضمنان إنكار إسناد السيئات إلى العبد والقران صريح في نسبتها إليه كقوله:﴿ **وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ**" و قوله : "**أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ** ﴾ فكيف ينكر عليهم قولا آخر أجابهم به حين قالوا أنى هذا .

الطريقة الثانية : و قالت فرقة يراد بالحسنة و السيئة تارة النعمة و البلية [5] كقوله تعالى : ﴿**بَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾[6] **و قوله تعالى** : ﴿**فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ**

وَمَن مَّعَهُ ﴾ [7] و تارة الاعة و المعصيّة كقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ** ﴾و قوله: ﴿ **مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا** ﴾[8].

و في كون اللفظين على هذين الجنسين بالإشتراك أو بالتواطء نظر يخرجنا تحقيق الكلام فيه عن الغرض و إذا اثبت ذلك فقد يكون بالمراد بالحسنة و السيئة الأولى النعمة و البليّة و في الآية الثانية الطّاعة و المعصيّة قالوا فيناسب الآية الأولى قوله : ﴿**أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ** ﴾، فإنه يناسب النعمة والبلية. الآية الثانية : ﴿ **و أرسلناك للنّاس رسولا**﴾ و قوله : ﴿**من يطع الرسول فقد أطاع الله** ﴾ [9] يناسب الطاعة والمعصية اللتين هما سبب الثواب والعقاب ومتعلقا الذي من أجله بعث الرسول وإنما وقع التفصيل بين الطاعة و المعصية في النسبة إلى الله تعالى و إلى العبد – وإن كان كلا منه تقديرا أو خلقا – لأن الطاعة واقعة بحول الله تعالى و مشيئته و أمره ورضاه و أما المعصية وإن وقعت بالقدر والمشيئة لا حظ لها في الأمر والرضا فلذلك نسب الطاعة إلى الله تعالى والمعصية إلى العبد.[10]

وأقول في هذا التفسير نظر بل الظاهر إن المراد بالحسنة والسيئة في الآيتين جميع النعمة والبلية، فإن لفظ الإصابة تقترن شائعا ذائعا بالنعمة، والبلية بخلاف الطاعة والمعصية وأيضا فسبب النزول يشهر لما قلناه على ما ذكره المفسرون، فمنهم من قال إن المنافقين كانوا إذا خرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوه – و إن غنموا قالوا هذا من الله لا من بركة محمد وإن انهزموا قالوا هذا من شؤمه ومن سوء تدبيره –وقيل الزاد و الخصب والجدب وذلك أن النبي صل الله عليه وسلم حين قدم المدينة أصابهم جدب وقد كان قبل ذلك خصب فكانوا يقولون هو من شؤم محمد [11] و إنما كان ذلك كالابتلاء من الله لهم كسنته في من قبلهم من الأمم مع أنبيائهم قال تعالى:﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ** ﴾[12] و كما قال :﴿ **وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾[13] وبالجملة فالطاعة والمعصية أولا وآخر وتفسير الحسنة بذلك يخرج النظم عن فصاحته .

الطريقة الثالثة :

فالتفرقة ينبغي أن يعلم الفرق بين قول القائل هذا من زيد وهذا من عند زيد فإذا قلت من عند زيد فهو أعم من المباشرة والتسبب وإذا قلت من زيد فلا يكون إلا مباشرة وذلك أن من نفى الابتداء الغاية على إيصال الشيء ما دخلت عليه من، و أما (عند) فهي دالة على الجملة فدل لفظ من فيها على إيصال الشيء بجهة زيد ولا ينعكس بقوله:﴿ **قل كل من عند الله** ﴾ لا ينافي قوله:﴿**وما أصابك مِن سيِّئةٍ فمِنْ نفْسِك** ﴾ فكانت الحسنة من الله ومن عنده. وأما السيئة فمن عند الله وليست منه، قالوا وإنما كانت الحسنة من عنده ؛ ومنه لأنها واقعة بإرادته سبحانه وأمره ورضاه وتوفيقه، وأما السيئة فإنها وإن كانت من إرادته فليست بأمره ولا برضاه ولا بتوفيقه [14]وأقول هذا يناسب تفسير الحسنة والسيئة بالطاعة والمعصية فإنما متعلقا الأمر والرضا والتوفيق، والنهي والسخط والخذلان. وقد قدمنا أن تفسير الحسنة والسيئة بالنعمة والبلية أدعى إلى المقام و أجدى على قوام النّظم في الكلام، على أن من الناس من كاد يعكس في التفسيرين المذكورين (من وعند) بأن قال:" من " بدل على البداية وذلك لا يقتضي الاستغلال والاستبداد بالنسبة. وأما لفظ (عند) فهي دالة على الاستقلال والاستبداد بالنسبة. فقولك هذا من عند الله يدل على عدم الواسطة فكما في قوله تعالى:﴿**قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ الله** ﴾ لا مشاركة فيه لغيره وكذلك لفظ لدن في قوله: ﴿**وعلّمْناه مِنْ لدّنا**

عِلما﴾[15]، أي لا بواسطة تعليم معلم غيرنا وكأن هؤلاء رأوا الظرف من شأنه أن يكون محيطا بالظروف فكانت الجهة الإلهية إحاطة بالشيء المنسوب إليها بخلاف لبعض (من) وهذا كله خارج عن النظر في الآية وقد قال تعالى في السيئات قل هو من عند أنفسكم فيدل على استقلال الكبير بالنسبة إليه، وقال تعالى: ﴿**قُل كُلٌّ مِنْ عِند الله**﴾، فدلّ على استقلال الله بالنسبة إليه.

الطريقة الرابعة :

وهي المرضية عندنا وذلك أن الحسنة والسيئة قد قدمنا أنها في الآيتين بمعنى النعمة والبلية ولا شك أنهما مخلوقتان لله تعالى ومقررتان له، فوجب نسبتهما إلى الله تعالى حقا وتقديرا، وأيضا فالله عزوجل يبتلي بما خلقه كما قال عز وجل: ﴿ **وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾[16] ولما كانت البلايا لاحقة للإنس بسبب اكتسابهم وسيئاتهم نسبت إليهم، قال تعالى:﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** ﴾ [17] ﴿**وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ** ﴾[18]، وقوله عز وجل: ﴿**مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ**﴾[19] ولما نزلت هذه الآية شق ذلك على أبي بكر وعمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يا أبا بكر، ألست تمرض؟ ألست تحزن؟ ألست تصيبك اللأواء"[20].

فيبين هذا أن هذه البلايا الدنيوية سواء كانت نفسانية أو جسمانية فإنما هي جزاء ما اقترف العبد بقوله تعالى :﴿**قُل كُلٌّ مِنْ عِند الله** ﴾ يعني الحسنات والسيئات تقديرا أو خلقا. وقوله:" **و مَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكْ** "، يعني بسبب ذنبك، وحسبك، كما أن الملك يعاقب على الذنب فيصح نسبة العقوبة إلى الملك وإلى الجاني بالجهتين. فإن قيل هذا المعنى الذي ذكرتم في السيئة هو قائم في الحسنة فإن النعم أيضا في الدنيا هي بسبب الطاقات المكتسبة قال تعالى: ﴿ **وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا** ﴾[21] وقال تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ** ﴾[22] **وقال تعالى:** ﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً(10)يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً(11)وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً** ﴾[23] وقال صل الله عليه وسلم " إن الله لا يظلم مؤمنا حسنة يغطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة....[24].

فدلت هذه الدلائل على أن النعم أيضا جزاء على كسب الخلق، كما أن البلايا كذلك. فلئن صحّ نسبة السيئة إلى العبد بذلك، فليصح نسبة الحسنة إليه فما وجه الفرق بين الحسنة والسّيئة في الآية؟

إذ قال: ﴿ **مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا** ﴾ قلنا هذا هو سر المسألة وبإيضاحه يتم الفرق. وهو أن تعلم أن النعم كما قلنا تابعة للطاعات، وأن البلايا تابعة للمعاصي كما تقرر من الآيات والأخبار. لكن الطاعة والمعصية ليستا سواء في النسبة إلى الله تعالى ولا بالنسبة إلى العبد؛ وذلك أن الطاعة والمعصية لهما سببان باطنيان حقيقيان وهما القدر الإلهي والإرادة الربانية، لكن العبد لم يفعل الفعل لأن الله أراده وقد كان هذا ما لا يصلح إلا بعد وقوعه فلا يصح بناء الأفعال إليها، وأما بالنسبة إلى الطاعة فهو إرادة العبد.

لكن الباعث المحرك للإرادة المتعلقة بالطاعة الأمر التكليفي الشرعي، وأما الباحث المحرك للإرادة المتعلقة بالمعصية فإنما هو هوى النفس. فظهر أيضا إسناد السبب الظاهر في الطاعة إلى الله تعالى بخلاف السبب الظاهر في المعصية فإنه مستند إلى النفس. لا يقال كما أن الطاعة مأمور بما ذلك المعصية منهي عنها. والأمر والنهي هما السببان في كون الفعلي طاعة أو معصية، فكانت الطاعة والمعصية معا مستندين إلى الله تعالى، قلنا إنما أثر النهي في كون الفعل معصية وليس ذلك من فعل العبد ولا من كسبه، أما الأمر هو و إن أثر في كون الفعل طاعة فهو نفسه المحرك لإرادة الطاعة بل النهي محرك وباعث على الكف عن المعصية .

فيوضح بما قررنا أن الطاعة منسوبة إلى الله تعالى بسببها الظاهر والباطن، وأما المعصية فإنما هي منسوبة إلى الله تعالى بالسبب الباطن لا بالسبب الظاهر ؛ فلذلك يصح نسبتها إلى الله تعالى كما في الآية الأولى. ويصح التفصيل كما في الآية الثانية، وإنما فهمها نسبة إلى الله تعالى نظرا إلى الحقيقة وإنما فرقهما في الآية الثانية ردا على المنافقين إذ نسبوا السيئة إلى النبي صلى الله عليه وسلم شؤما تدبيرا فقال:﴿**وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ** ﴾ تعني سببه لا سبب غيره[25].

والخطاب عام غير خاص بالنبي صل الله عليه وسلم لقوله تعالى :﴿ **ولَوْ تَرَى إذْ وُقِفوا على النار** ﴾[26].

وقول الشاعر :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمرّدا[27].

فهذا هو الذي حضرني في الجمع بين الآيتين والله الموفق].

❖ **ملامح التفسير عند الشريف التلمساني :**

يظهر من نص فتوى الشريف التلمساني التي أجاب فيها عن سؤال في توجيه و جمع آيتين من كتاب الله عز وجل من سورة النساء، بعض الملامح التّي توضح منهجه في التفسير نختصرها فيما يلي :

أولا : سلك التلمساني في تفسيره أحسن طرق التّفسير و البيان، حيث أنّه فسر القرآن بالقرآن، كما هو واضح في الآيات التي ساقها [28]، و كذلك فسر القرآن بالسنة فذكر حديث النبي صلى الله عليه وسلم [29]، و فسر القرآن بأقوال الصحابة [30].

ثانيا : اعتمد التلمساني على اللّغة العربية في تفسيره، فجعلها مسلكا ممهدا لتفسير كما هو الحال مع وقفته في الفرق في تفسير الآيتين، كذلك بين مدلول " السيئة " و " الحسنة " في السياق القرآني على مقتضى اللسان العربي .

ثالثا : وظّف التلمساني علم الكلام في جمع الآيتين، لأنّ المقام يحتاج إلى بيان مسألة عقدية مهمة متعلقة بالإيمان، و هي مسألة " القدر"، التي تنازع فيها كثير من أهل الملل و النحل، فضلت فيها أفهام، وزلت أقلام في تحقيق القول فيها .

فقد وضح الشريف التّلمساني المسألة ورد على القدرية، و أزال اللبس و الغموض ممن ينم عن رسوخ في علم الكلام بإعتباره عاش في القرن الثامن هجري، حيث انتشر الإشتغال بعلم الكلام، و المباحث العقلية و المنطقية، و كان لهذا أثر في التفسير .

رابعا : من خلال نص هذه الفتوى التفسيرية تبرز شخصية التّلمساني في التفسير من حيث التحقيق و ذكر الخلاف، و الرد، و ترجيح الأقوال .

الخاتمة :

في ختام البحث نلخص إلى جملة من النتائج أهمها :

1. أنّ الإمام الشريف التلمساني (ت:771 هـ) عالم جامع و متمكن في مختلف العلوم و الفنون تشهد له هذه الفتوى في التفسير التي ذكرناها كمثال في رسوخه في علم التفسير و علوم القرآن، لتضمنها عصارة و زبدة ملكته العلمية الفريدة .
2. أقوال الشريف التّلمساني في التفسير قليلة و محدودة من حيث العدد، لكنّها ثرية من حيث محتواها العلمي، و هذا يدل على كثرة و تنوع المصادر العلميّة للشريف التّلمساني .
3. من خلال هذا المثال التفسيري للشريف التلمساني يقف الباحث عند بعض ملامح و مميزات المدرسة التفسيرية الجزائرية في القرن الثامن الهجري .

فهرس المصادر و المراجع :

- ✓ تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، للباقلاني، تح عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، ط1، 1987 م .
- ✓ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر بن جرير الطبري، تح، عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة و النشر و التوزيع و الإعلان، ط1، 2001 م .
- ✓ شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، تح شعيب الأرناؤوط و عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط10، 1997 م .
- ✓ تفسير القرآن العظيم، لإبن أبي حاتم الرازي، تح أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ط3، 1419 هـ .

الهوامش:

[1] لمن أراد الإستزادة و التوسع في ترجمة أبي عبد الله الشريف التّلمساني فليرجع إلى المصادر التالية :نيل الإبتهاج للتنبكتي ، البستان في ذكر علماء تلمسان لابن مريم ، تعريف الخلف برجال السلف للحنفاوي ، الأعلام للزركلي ، المفسرون الجزائريون عبر القرون لمحمد المختار اسكندر و غيرها من المصادر .

[2] هكذا ورد بلفظ (نضمها) في مناقب الشريف التلمساني وولديه (مخطوط) النسخة المدنية ، و هي من محفوظات خزانة الحرم المدني بالمدينة النبوية ، رقم حفظها : 80 ، 133 ، لوحة 141 و لعل الصواب (نظمها) .

[3] النساء ، الآية 79.

[4] ينظر : تمهيد الاوائل في تلخيص الدلائل ، للباقلاني ، تح عماد الدين أحمد حيدر ، 359 ، مؤسسة الكتب الثقافية – لبنان ، ط1 ، 1987م .

[5] و هذا قول قتادة نقله الطبري ، ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر الطبري ، تح عبد الله عبد المحسن التركي 239/7 ، دار هجر للطباعة والنشر و التوزيع و الاعلان ، ط1 ، 2001 م .

[6] الأعراف الآية 168

[7] الاعراف الآية 131.

[8] الانعام الاية 160.

[9] النساء الاية 75

[10] هذا بخلاف القدرية الذين يرون أن فعل العبد سواء كان حسنة أو سيئة فهو منه لا من الله، والقرآن قد فرق بينهما، وهم لا يفرقون، " ولأنه قال تعالى: ﴿ **قُل كُلٌّ مِنْ عِنْد الله** ﴾فجعل الحسنات من عند الله، كما جعل السيئات من عند الله، وهم لا يقولون بذلك في الأعمال، بل في الجزاء. وقوله بعد هذا: ﴿ **ما أَصابكَ مِنْ حَسَنَةٍ** ﴾ [النساء: 79] ومن سيئة مثل قوله: ﴿**وإِنْ تُصِبْكُم حَسَنَةٌ** ﴾[النساء 78] ﴿ **وإِنْ تُصِبْهُم سَيِّئَةٌ** ﴾ [النساء 78] .

و فرّق سبحانه وتعالى بين الحسنات التي هي النعم، وبين السيئات التي هي المصائب، فجعل هذه من الله، وهذه من نفس الإنسان لأن الحسنة مضافة إلى الله، إذ هو أحسن بها من كل وجه، فما من وجه من أوجهها إلا وهو يقتضي الإضافة إليه، وأما السيئة، فهو إنما يخلقها لحكمة، وهي باعتبار تلك الحكمة من إحسانه، فإن الرب لا يفعل سيئة قط، بل فعله كله حسن وخير". شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، تح شعيب الأرنؤوط وعبد الله بن المحسن التركي، 2/ 516-515، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط10، 1997م.

قيل المراد بالحسنة والسيئة هنا الطاعة والمعصية، وقيل الحسنة ما أصاب النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر، والسيئة ما أصابه يوم أحد، والقول الأول الذي تقدم (المراد بالحسنة والسيئة: النعمة والبلية). هو الأصح كما يفهم من كلام التلمساني. لأنه يشمل القول الثاني والثالث. ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، 2/ 516.

[11]ينظر : (تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، تح أسعد محمد الطيب، 3/ 1009، مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، ط3، 1419هـ. تفسير الطبري 7/ 239).

[12]الأعراف آية 94

[13]الأعراف 168.

[14]ينظر تفسير الطبري 7/ 239

[15]الكهف الآية 65.

[16]الاعراف الآية 168.

[17]الرعد اية 11

[18]الشورى الآية 30

[19]النساء الآية 123.

[20]مسند الإمام أحمد، مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ح 69، 1/ 231. و اللأواء: هي الشدة. قال الأصمعي وغيره: يقال أصابتهم لأواء ولولاء وشصا صاء، ممدودة كلها: الشدة وتكون اللأواء من شدة المرض. تاج العروس 39/ 428.

[21]الجن الآية 16.

[22]المائدة الآية 66.

[23]نوح الآيات 10-11-12.

[24]صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا، ح 2808 ، 04/ 2162.

[25]النعم من الله تعالى لأن الله هو الذي وهب أسباب – رب الأسباب السعادة للعبد، وأسباب البعد عن مزالق الشقاء. وكل سيئة تصيب العبد فهي من نفسه لأن الله أتاه القدرة على العمل، وأوتي اختيارا في التقدير الباعث عليه، من دفع المضار وجلب المنافع. ينظر: (كتاب التوحيد المسمى بالتخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد، لعمر العرباوي الحملاوي، ص 231، مطبعة الوراقة العصرية، 1984 م، د ط).

وهنا ينبغي أن ندرك حقيقتين مهمتين:

الأولى: أن كل شيء من عند الله تعالى :﴿ والله خلق كل شيء﴾ [الرعد الآية 16]؛ فهو رب الكون ورب الأسباب والنتائج.

الثانية: ما يقع فيه الإنسان من سوء مرده إلى تقصيره، قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ** (4 (**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ** (5) **وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ** (6) **فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ** (7) **وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ** (8) **وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ** (9) **فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ** ﴾[سورة الليل الآيات من الآية 4 إلى 10].

[26]الانعام الأية 27.

ينظر: حز الغلاصم في إفحام المخاصم عند جريان النظر في أحكام القدر، لابن الحاج القواني، تح عبد الله عمر البارودي، ص 52 مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، ط1، 1405هـ.

[27]ديوان المتنبي ص 372.

[28]عند استدلاله بالآيات : [الشورى ،30] ، [آل عمران ،165] ، [الأعراف ، 168] ، [الأعراف ، 131] ، [هود ، 114] ، [الأنعام، 168] ، [الأعراف ، 94] .

[29]فقد أورد حديثين للنبي صلى الله عليه وسلم في تفسيره .

[30]حيث أورد أثرا عن الصحابة .